خُطْبَةٌ بِعِنْوَان تحقيق الأمن

الخُطْبَةُ الأُولَى

إنَّ الحمدَ للهِ، /نحمدُه ونَسْتَعْفِرُه ونَتُوبُ إليه،/ ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أعمالِنا، /مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له،/ ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ،/ وحْدَهُ لا شريكَ له، /وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه،/ صلى الله عليه، وعلى آلِهِ وسَلَّمَ تسليماً كثيرا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾

أمَّا بَعْدُ...عِبَادَ اللهِ... إنَّ الأَمْنَ أَغْلَى المطالِبِ وأَنْفَسُها،/ وأَهَمُّ الضروراتِ وأَعْظَمُها،

فبِالْأَمْنِ تُصَانُ النفوسُ والأديانُ، وتُحْفَظُ الأموالُ والأعراضُ والأنسابُ، /وتُقَامُ الحضاراتُ،/ وتَتَطَوَّرُ الدُّوَلُ وتُهَابُ، /وتَتَحَقَّقُ مقاصِدُها..

فتحقيقُ الأَمْنِ للبشريةِ مِنْ أَعْظَمِ وظائفِ الرسُلِ والأنبياءِ،/ ومِنْ أَهَمِّ مَقَاصِدِ الكُتُبِ.إنَّ تحقيقَ الأَمْنِ لا يَقْتَصِرُ نَفْعُهُ وفائدَتُه على عِمارَةِ الدنيا وصَلاحِهَا

بلْ لا تَسْتَقِيمُ العبادةُ ويَكْتَمِلُ نظامُها إلَّا باسْتِتْبَابِ الأمنِ وظُهُورِهِ،/ فالصلاةُ التي هي عَمُودُ الدِّينِ وقِوامُهُ،/ لا تَكْتَمِلُ إلَّا بالأَمْنِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 239]، ففقْدَانُ الأَمْنِ سَبَبٌ في نَقْصِ العباداتِ،/ واخْتِلَالِ كَمَالِها.

وَأَمْنُ الْأَوْطَانِ لَا يُصَانُ بِالِاعْتِمَادِ عَلَى رِجَالِ الْأَمْنِ الْمُكَلَّفِينَ بِذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الدَّوْلَةِ فَحَسْبُ، /بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَتَضَافَرَ الْجُهُودُ كُلُّهَا لِلْحِفَاظِ عَلَى الْأَمْنِ الْعَامِّ،/ وسَلَامَةِ الْأَوْطَانِ.

فَالْمُوَاطِنُ أَيْضًا عَلَيْهِ واجِبَاتٌ كَثِيرَةٌ تُجَاهَ وطَنِهِ ومِنْهَا الْقِيَامُ بِحَقِّ حِفْظِ الْأَمْنِ والْأَمَانِ، /والْمُسَاهَمَةُ في تَثْبِيتِ دَعَائِمِهِ.

ومِنْ هُنا فإنَّ المسْؤولِيَّةَ تَعْظُمُ تُجاهَ هذا المُكْتَسَبِ الضروريِّ والمرتكزِ الأساسِ لكُلِّ أُمَّةٍ ودَوْلَةٍ كيفَ لا وهو ضَرُورَةٌ كُبْرَى لإقامةِ حَيَاةِ الناسِ؟! لِذَا تَشْتَرِكُ الأممُ كُلُّها في طَلَبِه، /والسَّعْيِ لِتَحْصِيلِهِ.

وَهَذَا إِنْ دَلَّ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَسْؤولِيَّةَ الْأَمْن ، /فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ تَقَعُ عَلَى عَاتِقِ كُلِّ مُوَاطِنٍ يَسْكُنُ الْبَلَدَ، ويَطْعَمُ خَيْرَهَا، ويَتَنَعَّمُ بِنَعِيمِهَا

والأُمَمُ يُقَاسُ رَغَدُ عَيْشِها وسَعَادَتُها ونُمُوُّها وتَقَدُّمُها بِقَدْرِ ما حَقَّقَتْهُ مِنْ أَمْنٍ لشُعُوبِهَا، /ولا عَجَبَ.

فَقَدْ قَالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم : «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، /عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ/، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»

أيْ: فكأَنَّما جُمِعَتْ له الدنيا كُلُّها. /فالأَمْنُ في الذُّرْوَةِ مِنَ المطالِبِ،/ وهو السنامُ مِنَ المقاصِدِ.

وإذا اضْطَرَبَ الأَمْنُ لا قَدَّرَ اللهُ ظَهَرَتِ الفِتَنُ، /وكَثُرَ الخَبَثُ، /والْتَبَسَ الحقُّ بالباطلِ، /وعَمَّتِ الفَوْضَى،/ وهَلَكَ الناسُ،- أفَيَرْضَى عَاقِلٌ فَضْلًا عَنْ أنْ يَكُونَ مُسْلِمًا أنْ تَظْهَرَ بَوَادِرُ هذا الهلاكِ، /والفسادِ العريضِ؟!

..فِي بَلْدَةٍ وَأَهْلِهِ وناسه وَعَائِلَتِه ،/ وَهُو جزءٌ مِنْ هَذَا الْبَلَدِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ أيرضى ذَلِكَ لَا وَاَللهِ لَنْ يَرْضَى مِنْ تَعَلَّمَ واعتنق وَعَرَف الدِّينَ الإِسْلامِيَّ وَأُصُولِه .

إذا ثبت فضل هذه النعمة تحتَّم على العباد شكرها وحمد الله تبارك وتعالى عليها، وهنا يأتي السؤال: ما هي الوسائل المعينة على شكر نعمة الأمن؟

والجواب: إنَّ ذلك يتم بالقيام بالأعمال الآتية:

الأول: الدعاء وسؤال الله دوامها، وحمد الله عليها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يقول: «ربِّ أعنِّي ولا تُعِن عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، واهدني ويسِّر الهدى لي، وانصرني على مَن بغى عليَّ، ربِّ اجعلني لك شكَّاراً، لك ذكَّاراً، لك رهَّاباً، لك مطيعاً، إليك مخبتاً، إليك أوَّاهاً منيباً، ربِّ تقبَّلْ توبتي، واغسِلْ حوبتي، وأجِبْ دعوتي، واهدِ قلبي، وسدِّدْ لساني، وثبِّتْ حُجَّتي، واسلُلْ سخيمة قلبي»

والشاهد فيه قوله: «ربِّ اجعلني لك شكَّاراً»، ونعمة الأمن من أولى ما ينبغي أن يُشكَر، فمَن أحبّ بقاء نعمة الأمن عليه ورغب في دوامها فعليه بالإكثار من حمد الله وشكره عليها فربنا يقول: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}

الثاني: استعمالها في طاعة الله تعالى، وصرفها في مرضاته، واغتنامها فيما ينفع من الأمور الدينية والدنيوية، وخاصة الأمور الدينية؛ فإنَّ تحصيلها يتعذر عند زعزعة الأمن واضطرابه، ومن هنا قال يزيد بن ميسرة رحمه الله: "أَحْسِنوا صحابَةَ نِعَم الله، فوالله ما أنفرها عن قوم فكادت ترجع إليهم"

الثالث: الثناء على القائمين بها من ولاة الأمور ورجال الأمن والشرطة وشكرهم على ذلك مع الدعاء لهم، وسؤال الله لهم الإعانة والتسديد على مهامهم في حفظ نعمة الأمن؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يشكر الله مَن لا يشكر الناس»

الرابع: التعاون معهم على استمرارها وذلك بالإبلاغ -مثلاً- عمَّن يسعى لزعزعة الأمن أو التشويش على الآمنين وذلك إن وُجدت الريبة في شأنه أو بعْدَ التحقق من أمره؛ لقوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}

الخامس: السعي لمنع الأسباب الموجبة لزوال نعمة الأمن وأعظمها المعاصي -على اختلاف أنواعها وتفاوت مراتبها- وكفران النعمة، قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}

السادس: التحدث بنعمة الأمن، وتذكير الناس بفضلها وبيان ثمارها، وبيان حال الشعوب المحرومة منها؛ لعموم قوله تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: 11]، فإنَّ تَذَكُّرَ هذه النعمة يدعو للحفاظ عليها وإكرامها، وسدّ كل باب لزوالها، وهذا يقتضي من كل غيور الاجتهاد في العمل الصالح مع الإكثار من شكرها، شعاره في ذلك: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبهذا تزداد هذه النعمة، ويعظم خيرها، وتكثر بركتها.

السابع وهو: نسبة نعمة الأمن إلى الله تعالى؛ لأنه تعالى هو المتفضل بها، والميسِّر لتحققها، والمحسن إلى العباد بوجودها، والمنعِم بها على الناس أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

الثامن: معرفة قَدْرها وعِظَم شأنها -وتقدَّم شيء من ذلك في التمهيد للجواب- وإلى هذا أيضاً الإشارة في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن أصبح منكم آمِناً في سِرْبه، مُعافىً في جسده، عنده قوت يومه، فكأنَّما حيزت له الدنيا» والشيء كلما قوي العلم بقَدْره ازداد الطمع فيه والحرص عليه.

أسألُ اللهَ لي ولكُمُ التوفيقَ والسدادَ، /وأستغفرُه لي ولكُمْ مِنْ سَائِرِ الذنوبِ، /إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

••••••••••••••••••••••••••••••••••••••••••••••••••••••

الخُطْبَةُ الثانيةُ:

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين،/ وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ وبارَكَ على رسُولِهِ الأمينِ، /محمدِ بنِ عبدِ اللهِ عليه أفضلُ الصلاةِ وأتَمُّ التسليمِ.

ومن الوسائل المعينة على شكر نعمة الأمن ؟

التاسع: الالتفاف حول ولاة الأمور بطاعتهم في طاعة الله عز وجل، وبيان حقوقهم الشرعية على الرعيَّة، والحث على الصبر عليهم، والتحذير من الخروج عليهم -إن كان فيهم جور وظلم- وأنَّ الواجب نصحهم -إن أمكن- باللطف واللين وبالتي هي أحسن، والنصوص على ذلك كثيرة، ولذلك قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "نهى عن قتال الأمراء، والخروج على الأئمة -وإنْ ظلموا وجاروا- ما أقاموا الصلاة؛ سدّاً لذريعة الفساد العظيم والشر الكبير بقتالهم..."

وأقول: إنَّ من الفساد العظيم الذي أشار إليه الإمام ابن القيم رحمه الله: استبدال الأمن بالخوف، وإراقة الدماء، وقتل النفوس، وظهور الفتن، وفساد ذات البَيْن، وتعطيل أحكام الشريعة، واختفاء معالم السُّنة، واضطراب الأمور، وذهاب الحقوق، وانتشار الفوضى، واختلال أوضاع الرعيَّة، وبروز الشَّغَب، وتفكك المجتمع، إلى غير ذلك من صور الفساد وأشكاله التي تقع بسبب الإخلال بهذا الأصل العظيم من أصول أهل السُّنة والجماعة والتفريط بنعمة الأمن، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر النصوص الواردة في هذه المسألة: "وهذا كله مما يبيّن أنَّ ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الصبر على جَوْر الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأنَّ مَن خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد"

العاشر: لزوم الجماعة والالتفاف حولها وعدم مفارقتها، والمراد بالجماعة: جماعة المسلمين الذين لهم حاكم ظاهر، وسلطان معروف، قد اجتمع أهل الحل والعقد على تأميره ومبايعته ولزوم طاعته.

فمن تمام شكر نعمة الأمن لزوم الجماعة، وطاعتها -أعني الجماعة- في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبذل الجهد في النصح لها والقيام بحقوقها؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَن خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، ثم مات، مات ميتة جاهلية».

ومَن فعل خلاف ذلك فإنه مُعرّض نفسه للوعيد الذي جاء على لسانه صلى الله عليه وسلم في قوله: «ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة، وعصى إمامه، ومات عاصياً»

الحادي عشر: رفض كل ما يخل بنعمة الأمن، وردّ كل سلوك يؤدي إلى زعزعتها وذهابها، من إقامة المظاهرات، أو إظهار الاعتصامات، أو الإعلان عن الإضرابات، أو تعدد الجماعات، أو إظهار التنظيمات السرية، أو الإذن بوجود الأحزاب السياسية، أو التصريح بمفارقة الجماعة الشرعية القائمة تحت حاكم يسوسها ويرعى شؤونها وإشهار ذلك والدعوة إليه، أو سب الحكام والطعن فيهم، أو إساءة الظن بهم، أو شيوع التحزب، إلى غير ذلك من الوسائل المفسدة والطرق المؤدية إلى التمرّد على نعمة الأمن أو العبث بها أو انتهاكها، فهذا كله مخالف لقوله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [ط

الثاني عشر: وهو أجلُّ الأسباب وأعلاها، وأشرفها وأفضلها، وكل ما تقدَّم من الأسباب فإنه مبني عليه، ألا وهو الإيمان بالله تعالى وتحقيق التوحيد له جل وعلا، وإخلاص الدِّين له وحده دون سواه، فهذا أصل الأمن وأساسه،

ولذلك رتَّب الله الأمن على الإيمان وبيَّن أنه من آثاره فقال: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} ، فمتى وفق المجتمع لتحقيق الإيمان التام هيَّأ الله له الأمن التَّام وهداه إليه، وهذا يعني: أن حظ المجتمعات المسلمة من الأمن بحسب حظها من الإيمان بالله وتحقيقه والقيام بحقه، والابتعاد عن نواقِضِه، واجتناب ما يُضادّه؛ لأن الأمن والإيمان مترابطان لا انفكاك لأحدهما عن الآخر، والإيمان طريق إلى الأمن والأمان.ودليل هذا حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال قال: «الله أكبر، اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربنا وربك الله»

عباداالله :

فمن تمام شكر نعمة الأمن: إتمام الإيمان بأداء حقه، وحفظ حدوده، والقيام بشرائعه، والاجتهاد في الاستزادة من شعبه وخصاله، والعمل بموجباته.

عبادَ اللهِ:

.إنَّ حُبَّ الوَطَنِ غريزةٌ وجِبِلَّةٌ يُودِعُها اللهُ في قُلُوبِ ونُفُوسِ وعقولِ الناسِ؛ /سواءٌ أكَانُوا مُسْلِمِينَ،/ أو غَيْرَ مُسْلِمِينَ.

فما بالُنا إذا كَانَ هذا الوَطَنُ وطَنَ إسلامٍ، /ووَطَنَ قُرْآنٍ،/ ووَطَنَ سُنَّةٍ، /ووَطَنَ تَوْحِيدٍ،/ ووَطَنَ إقامةٍ لِشَرْعِ اللهِ وحُدُودِه.

ووطَنًا يَرْعَى الحقوقَ والواجباتِ،/ وطَنًا يَنْظُرُ إلى كلِّ ما يَخْدُمُ الإسلامَ ويحافظ على امنه وسلامة مواطنيه...

عبادَ الله... صَلُّوا وسَلِّمُوا على نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ،/ صَلُّوا وسَلِّمُوا عليه؛ فإنَّ مَنْ صَلَّى عليهِ صلاةً واحدةً صَلَّى اللهُ بها عليه عَشْرًا،

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وزِدْ وبَارِكْ على نبيِّنا محمدٍ.واله وصحبه وسلم

اللهُمَّ... أَعِزَّ الإسلامَ والمسلمينَ،/ وأَذِلَّ الشركَ والمشركينَ،/ ودَمِّرْ أعداءَكَ أعداءَ الدِّينِ.

اللهُمَّ ..مَنْ أرادَنا وأرادَ الإسلامَ والمسلمينَ بسُوءٍ فَاشْغَلْهُ بنَفْسِه،/ واجْعَلْ كَيْدَه في نَحْرِهِ،/ ودَمِّرْه يا رَبَّ العالمينَ.

اللهم احفظ رجالات الأمن في الحدود وفي الداخل/

اللهم وأجزل المثوبة والأجر لولي أمرنا على ماقدم للمواطنين/

والحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ،/ وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ على نَبِيِّنا محمدٍ وعلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ..واقم الصلاة...